حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثامن . شوال ١٤٣٩هـ / تموز ٢٠١٨م

٨

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

خندق سابور (كري سعدة)
صفحات من التاريخ القديم والحديث

الأستاذ تحسين عمارة

أديب، باحث، مهندس استشاري

الخندق: الخندق كجعفر حفير حول أسوار المدن قال الراجز:

لاتحسبن الخندق المحفورا
يدفع عنك القدر المقدورا

والجمع خنادق قال عمارة بن طارق:

يحط العبد الشديد العاتق
مثل حطاط البغل في الخنادق

والخندق: الوادي..

كعناءِ لَيلَتِنا التي جعَلَت لنا
بالقريتينِ وليلةٍ بالخندقِ[1]

الكري: الحفر وكري النهر كريا استحدث حفره[2] و في الصحاح كريت النهر بالفتح ، كريا، حفرته[3].

اتفق المؤرخون على بدايته ونهايته إذ أجمعوا على انه يبدأ من جنوب هيت على الفرات وينتهي إلى كاظمة قرب جزيرة بوبيان على الخليج ، أي بطول يقترب من الألف كيلومتر.. وكنت أشاهد الجزء الذي بين النجف والكوفة بحافاته العالية ، قبل أن تنتشر الأحياء الجديدة في مدينتي النجف والكوفة وتضمحل معالمه ، ولازال موقع بقاياه يعتبر الحد الفاصل بين قضائي النجف والكوفة.

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ حفر خندق كري سعدة أو خندق سابور ومنهم من اعتبره نهرا «ويؤخذ من روايات المؤرخين إن هناك نهرا يعرف باسم (خندق سابور) كان يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات من موضع يقع بالقرب من هيت فيمتد على طول الحدود الغربية للعراق المحاددة للبادية وينتهي في البحر قرب مصب نهر بوبيان وهو مدخل مصب الفرات القديم الواقع على بعد حوالي ٢٠ ميلا من غربي شط العرب»[4].

واستقرأ نيبور معلوماته من المؤرخ اليوناني (ARRIANVS) المولود عام ٩٠م ، واعتبره نهر بالاكوباس «نزل الاسكندر عن طريق الفرات إلى نهر بالاكوبا وهو يبعد عن بابل ثمنمائة غلوة[5] ينسلخ هذا النهر من مجرى الفرات عند فيضانه وإذا لم توجه مياه الفرات عند الفيضان إلى بالاكوبا ويخفف مسيله في المستنقعات والغدران، غمر المنطقة المجاورة كلها لشدة ارتفاعه، تبدأ المستنقعات من مجرى هذا النهروحتى منطقة بلاد العرب ثم تسد مجاري بالاكوبا عند انتهاء موسم الفيضان»[6].

من حفر كري سعدة:

١- نبوخذ نصر (٦٠٤ -٥٦١ق.م): وقد نسب العمل إليه والى ذلك ذهب الرحالة الأمريكي جون بيترز عندما زار النجف عام ١٨٩٠ وذكر بأن هناك نهرا مندرسا غربي الكوفة كبيرا يسمى (كري سعدة) وأعتقد بانه الجدول الكبير الذي حفره نبوخذ نصر فمده من موقع يقرب من هيت إلى الخليج ليحيي به مساحات شاسعة من الأرض الموات[7].

٢- سابور ذو الأكتاف (٣٠٩ -٣٧٩م): ذكر ذلك الحموي «خندق سابور في برية الكوفة حفره سابور بينه وبين العرب خوفا من شرهم[8] ، وقال البلاذرى: كانت عيون الطف مثل عين الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل ونواتها للموكلين

(١) تاج العروس ١٣ / ١٢٨.
(٢) م. ن. ٢٠ /١٢٠.
(٣) الصحاح ٦ / ٢٤٧٢.
(٤) تاريخ حضارة وادي الرافدين ٢ / ٢٣١.
(٥) الغلوة مقياس قديم للطرق طوله ستمائة قدم يونانية.
(٦) مشاهدات نيبور ٢٧ ، ٢٨ الهامش.
(٧) موسوعة العتبات المقدسة ٦ قسم النجف ٢٤٤/١.
(٨) معجم البلدان ٢ / ٣٩٢.

بالمسالح التي وراء السواد وهي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكلين بمسالح الخندق وغيرهم ، وذلك ان سابور أقطعهم ارضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خراجا[1].

٣- الملك انو شروان (٥٣١-٥٧٨م): وعن الحموي أيضا «ولما ملك انو شروان بلغه ان طوائف من الاعراب يغيرون على ما قرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر[2] كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية. وأمر بحفر خندق من هيت يشق طرف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى البحر وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعا الى أهل البادية عن السواد»[3].

٤- سعد بن عمرو بن حرام وذكر البلاذري «ان دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهرا كان عظيم الفرس قد حفره لهم، فكتب إلى سعد بن عمرو بن حرام أن يحفره لهم فقام بجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا الى جبل لم يمكنه شقه فتركوه فلما ولي الحجاج العراق جمع الفعلة من كل ناحية ، وقال لقوامه: انظروا إلى قيمة ما ياكل الرجل من الحفارين في اليوم فان كان وزنه مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا عن الحفر. فاتفقوا عليه حتى استتموه فنسب ذلك الجبل إلى الحجاج، ونسب النهر إلى سعد بن عمرو بن حرام»[4].

٥- أبو جعفر المنصور: (١٤٥-١٥٨هـ) (٧٦٢-٧٧٥م) وفي السنة ١٥٥ هـ/٧٧٢م.

حفر أبو جعفر المنصور الخندق وبنى سورا للكوفة وأمر لمن عمل في الخندق والسور لكل واحد خمسة دراهم فلما فرغوا أمر بجمعهم وأخذ من كل واحد أربعين درهما فقال الشاعر[5]:

يا لقوم ما لقينا
من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا
وجبانا الأربعينا

٦- أسطورة الأمير من أهل البصرة: في مشروع عملاق كخندق الكوفة لابد ان تثار حوله الأساطير وتروى بعدة صيغ فقد ذكرها البراقي «إن امرأة يقال لها سعدى وهي في غاية الحسن والجمال والقد والاعتدال والأدب والكمال ، ظريفة لبيبة بارعة في حسنها وجمالها على أهل زمانها ، وفائقة على جميع أقرانها بحيث لم يكن لها في عصرها مثيل ، وإن في وصفها سارت الركبان ، وبأدبها وفصاحتها تحدثت العربان وبها يضرب المثل وقد هواها القريب والبعيد حتى الأكابر والرؤساء والأكاسرة والعظماء والأقاصرة والملوك والوزراء وأهل المفاخر والرتب والأدباء ، فبذلوا على خطبتها الأموال الجزيلة والخزائن الكثيرة ، والتحف والهدايا العظيمة ، فلم تقبل بواحد منهم إلا بالذي تشترطه عليهم وذلك أنه لا يملكني أحد إلا من اكترى لي نهرا من وطني الى الوطن الذي يريدني ، وأن يغرس على جانبيه الأشجار المختلفة بالأزهار والثمار ، وأن تشتبك تلك بعضها على بعض حتى ان الذي يسير في وسط النهر لا يرى الشمس ، وان الأثمار لتتساقط من الجانبين عليه فمن صنع ذلك كان لي بعلا وكنت له أهلا ، ويكون ذلك لي فخرا أفتخر به على بنات الملوك والسلاطين وعلى الناس أجمعين ، فعندها أجابوها إلى ما أرادت ، وصنعوا لها بما طلبت ، وركبت في الزواريق في ذلك النهر من حي أهلها إلى الحي الذي صنع لها ذلك وسارت فلم تر الشمس ، وإن الثمار تتساقط عليها فاشتهر النهر باسمها فسمي بنهر سعدى»[6].

وقد انتقد البراقي ذلك وكيف ان الذي حفر النهر قد مد في عمره حتى حفره وغرس عليه الأشجار وأثمرت وهي بقيت تنتظره ولم تكبر... ثم يعلق فيقول «ما رأيت هذا في كتاب بل هو شائع على الأفواه إلا انه كلام ملفق ورب مشهور لا أصل له، ولم نجد في ذلك ما هو مذكور من انه عملوه حفظا للكوفة من الأعراب وان الأكاذيب أميل إلى طبع الإنسان»[7].

وذكرت الليدي درور الأسطورة بان سعدى كانت تسكن عمان وخطبها رجل من البصرة وعندما أكمل حفر الجدول الذي استغرق ٨٠ سنة كانت خطيبته قد بلغت من الكبر عتيا[8].

لكن في كتاب هيت في إطارها القديم والحديث حدد المؤلف موقع سعدى وقصره وانه يقع في قرية العطاعط التي تبعد ستة اميال عن هيت وعلى الضفة اليسرى من نهر الفرات والقصر الذي بناه أبو سعدى لها لازال موجودا وان خطيبها أمير من البصرة وتستمر نفس الحكاية لكن سعدى لا تبقى عند

(١) فتوح البلدان ٢ / ٣٦٥.
(٢) وردت المدينة باسم آلوس في تاريخ حضارة وادي الرافدين ٢ / ٢٣١ ولكن آلوس تقع أعلى هيت وبين هيت وحديثة.
(٣) تاريخ حضارة وادي الرافدين ٢ / ٢٣١
(٤) فتوح البلدان ٢ / ٣٣٦
(٥) تاريخ الطبري ٦ / ٢٩٨ ، الكامل في التاريخ ٦ / ٥ ، اليتيمة الغروية ١٠٨ ، تاريخ الكوفة ١٨٦.
(٦) اليتيمة الغروية ١٠٥ ، ١٠٦.
(٧) م. ن. ١٠٧.
(٨) على ضفاف دجلة والفرات ٨٢.

خطيبها بعد الزواج سوى فترة قصيرة وتعود الى أهلها معززة مكرمة لأنها اشتاقت الى نواعير هيت ثم يعلق المؤلف ويقول ان هذا الأمير قد أعاد حفر خندق سابور وكراه[1].

٧- علاء الدين الجويني وذكر ذلك المؤرخ عباس العزاوي «وكذلك في تاريخ وصاف وعد من عماراته[2] انه أجرى نهرا من قصبة الأنبار إلى النجف الأشرف وصرف له مبالغ وافرة قدرها بمائة ألف دينار ذهبا ، فتأسست عمارات وقرى في جانبيه وعددها مائة وخمسون قرية فانقلبت تلك الأراضي القاحلة إلى مزارع متصلة.... والظاهر ان النهر المذكور هو المعروف اليوم بـ(كري سعده)»[3].

أما الرحالة نيبور الذي زار العراق عام ١٧٦٥ وعندما زار الكوفة شاهد في طريقه مجرى كري سعده الجاف الذي يعتقد انه (البالاكوباس) الذي حفره سكان العراق الأقدمون[4].

والرحالة بيترز الذي زار الكوفة عام ١٨٩٠ فبعد ان يذكر أسطورة الفتاة سعدى وزواجها من تاجر بصري المار ذكرها مع شيء من التغيير يعتقد إن كري سعده هو الجدول الكبير الذي حفره نبو خذ نصر فمده من موقع قريب من هيت الى الخليج العربي ليحيي به مساحات شاسعة من الأراضي الموات[5].

سابور ذو الأكتاف:

يكاد يجمع المؤرخون أن الذي حفر ذلك الخندق هو سابور ذو الأكتاف وان هناك من أعاد حفره أو أعاد كري جزء منه في عصور تاليه ولكن الحفر لهذا الخندق يعود إلى جعله حدا بين العرب في الصحراء وبين الأراضي الزراعية بعد احتلال العراق من قبل الدولة الساسانية فمن هو سابور ذو الأكتاف؟

هو سابور (شابور) الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) تاسع ملك للأمبراطورية الساسانية الفارسية وهو الملك الوحيد في التاريخ الذي تم تتويجه وهو في رحم أمه فهو ولد ملكا وعلق النبلاء التاج الملكي على رحم أمه. وقد حكم سبعين سنة متواصلة ، وحكمت أمه يساعدها العظماء حين كان قاصرا[6].

وتذكر المصادر كيف أبدى سابور (وهو طفل بعد) اتجاها عجيبا الى الإصلاح، فقد كان ينام ذات مرة في القصر الملكي في المدائن فاستيقظ من ضوضاء الناس، فسأل عن ذلك ، فأخبر إن ذلك ضجة الناس عند ازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين ، فامر باتخاذ جسر آخر حتى يكون أحدهما معبرا للمقبلين والآخر للمدبرين فلا يزدحم الناس في المرور عليهما ، فاستبشر الناس مما رأوا من فطنته رغم صغر سنه[7].

ينسب إليه بناء مدن الأنبار (فيروز سابور) وسماها العرب الأنبار وجند سابور في الأهواز ونيسابور في خراسان.

وقد عرف هذا الملك بغزوه للعرب وحفره (خندق سابور) الذي حفره لحماية الأرض الخصبة المأهولة من هجمات الأعراب[8].

وجاء لقب ذي الأكتاف لأنه خلع أكتاف العرب[9] ، وقيل انه كان ينقب أكتاف العرب فيجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقة[10] ، وقيل إن اللقب جاء من معنى آخر لا علاقة له بخلع الأكتاف بل قصد به صاحب الأكتاف دلالة على الشد فهو لقب تمجيد وتقدير[11].

ويعزى سبب بناء قصر الخورنق الى حفيده يزدجرد بن بهرام بن سابور عندما أرسل ابنه بهرام جور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق مسكنا له[12].

ومن أحفاد سابور ذي الأكتاف بنو بويه الذين حكموا العراق كما سيمر علينا في فصول قادمة[13].

ويبدو أن فترة حكم سابور الطويلة جدا واتجاهه إلى الإعمار وبناء المدن الكثيرة في شتى أجزاء مملكته ، ليس غريبا عليه أن يحفر خندقا كبيرا مثل خندق سابور.

ولعل أعظم رخاء مر على الدلتا إنما كان أيام ملوك الفرس الساسانيين في العصور الأولى للمسيحية ، وكانت الجداول الأربعة التي تتفرع من الفرات وايضا كانت هناك جداول أخرى تستمد مياهها من الفرع البابلي قرب بابل فتروي المنطقة التي تمتد إلى مجرى دجلة القديم (فرع الحي الحالي) ، وذكر اميان مرقلان ، الذي تجول في كل منطقة الدلتا في القرن الخامس الميلادي أن البلاد كانت غابة خضراء من أقصاها إلى أقصاها. ويقول مؤرخو العرب الذين كتبوا تاريخ العراق خلال القرنين السابع والثامن للميلاد (الأول والثاني الهجري) ان صوت الديكة في الصباح تتجاوب على طول الطريق بين بغداد والبصرة[14].

(١) هيت في اطارها القديم والحديث ٢٥.

(٢) ويقصد بذلك علاء الدين الجويني.

(٣) موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين ١ / ٣٤٩.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة ٦ ق ١ / ٢٢٦.

(٥) م. ن. ٢٤٤.

(٦) ايران في عهد الساسانيين ٢٢٣.

(٧) تاريخ الطبري ١ / ٤٨٩.

(٨) المفصل في تاريخ العرب ٢ / ٦١٨.

(٩) تاريخ ابن خلدون ٢ / ق ١ / ٥٨.

(١٠) تاريخ سني ملوك الأرض ٥٢.

(١١) المفصل في تاريخ العرب ٢ / ٦٤٤.

(١٢) م. ن. ١ / ٤٩٠.

(١٣) الأعلام ١/ ١٠٥.

(١٤) من جنة عدن إلى عبور نهر الأردن ٥١.

مسار خندق سابور (كري سعدة):

يذكر العالم الجيكوسلوفاكي (موسيل) الذي تابع نهر الفرات بين عام ١٩١٢ و ١٩١٥ في طريقه من هيت الى الرمادي «وفي ٢١ نيسان سنة ١٩١٢ سرنا بمحاذاة الجانب الشرقي من (جدول كري سعده)»[١].

وفي نفس اليوم مساءا والى الشرق منا يتصل جدول (كري سعده) بالفرات ثانية[٢].

يذهب احمد سوسة إلى أن هذا النهر كان يسلك المنطقة الواقعة في الجهة الغربية من بحيرة الحبانية وهو طريق يمر بجبل سعدة ثم يتصل بوادي أبي فروخ الحالي فينحدر فيه إلى الجنوب الشرقي باتجاه غدير المالح فيسلك بعد ذلك اتجاه وادي الغضاوي ثم يترك هور أبي دبس إلى جنوبه، ويمتد حتى يصل أكناف طف كربلاء من ناحية الغرب، ومن هناك يمتد بمحاذاة نهر سورا من جهة الغرب حتى يقرب من مدينة الكوفة، ثم يسير حتى هور البطايح. وقد جرت تطورات على هذا النهر بغية إيصال الماء منه إلى مدينة النجف[٣].

أو كما يصفه الحموي «من هيت يشق طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ إلى البحر»[٤].

ولحرز الدين رأي في كري سعده ومساره فقد ذكر «وأول من حفره سابور ذو الأكتاف من (الطاش) قرب الأنبار فوق (الرمادي) ومعروف أيضا الخندق لغرض صد غارات العرب على الفرس ، فيشق البر حتى يدخل المسيب ومنه إلى نواحي الكوفة محاذيا مسجدها الأعظم ويشعب إلى جداول وأنهار أعلاها (العلقمي) الذي يمر أرض (الطف) ثم (التاجية) ثم (بارق) ويشق الظهر على جرف البحر المستطيل إلى (الحيرة) وهذا النهر يميل إلى جهة الجنوب قليلا فيشق البادية ويتفرع إلى فروع ، فرع منه إلى (عذيب الهجانات) وهو منزل (آل المحرق) من ملوك العرب وفرع آخر إلى الموضع المسمى اليوم (المدلك) ثم أراضي قبيلة (آل شبل)، ثم إلى الموضع المعروف اليوم (الخسف) ثم إلى (دوب هلال) ثم إلى الموضع المعروف (الأعمى و الخز) ومن هنا يتيامن عن (السماوة) حتى يصب في (هور بني أسد) ومنه إلى الشعيبة إلى البحر[٥].

وعندما زار نيبور عام ١٧٦٥ البصرة كتب مشاهداته «يشاهد في البصرة القديمة حوض لنهر جاف أو على الأصح قناة محفورة يسميها العرب كري سعده حيث تصب في خور عبد الله أسفل المدينة[٦].

نهر محدود أو كري سعده:

ذكر الدكتور أحمد سوسة إن الدكتور موسيل يميل إلى الاعتقاد بأن نهر محدود الذي ورد ذكره في معجم البلدان يسير في نفس الاتجاه الذي يسير فيه نهر كري سعده[٧] ، ولكني لم أجد ذلك في كتاب موسيل بل إن كل الذي ذكره في الحديث عن انهار تخرج من الضفة اليمنى لنهر الفرات «ان قناة المحدود قد أخذ من الفرات أسفل نتوء العقبة الصخري الذي كان يبرز في النهر العظيم على بعد ستة عشر كيلو مترا جنوب شرقي هيت»[٨].

أما ما ذكره الحموي عن نهر محدود فهو الآتي «المحدود أسم نهر بارض العراق قرب الأنبار في جانب الديار الغربي منها أمرت بحفره الخيزران أم الخلفاء[٩] ، أما ما ذكره الحموي عن نهر محدود فهو الآتي «المحدود أسم نهر بارض العراق قرب الأنبار في جانب الديار الغربي منها أمرت بحفره الخيزران أم الخلفاء[١٠].

ويذكر سوسة «وإذا سلمنا بما ذهب إليه ياقوت من أن النهر يقع بالقرب من الأنبار وجب علينا التحري عن الموضع الذي يأخذ منه هذا النهر في المنطقة الواقعة شمال غربي الفلوجة وليس في المنطقة الواقعة جنوب هيت. والذي نراه هو أن نهر محدود هذا لم يكن إلا أحد الأنهر التي فتحت في زمن العرب على ضفتي نهر الفرات ، ولعله كان يأخذ من الضفة اليمنى لنهر الفرات من أمام نهر الملك[١١]. حيث نجد آثارا لسد قديم على نهر الفرات في ذلك المكان ، ثم يتصل بنهر كري سعده في القسم الذي يمتد بين كربلاء والكوفة. ويغلب على الظن بأن نهر محدود هذا يقتفي أثر نهر العلقمي»[١٢].

واعتبار نهر محدود هو نفسه نهر كري سعده فهذا غير ممكن لأن المنصور العباسي قد كرى قسماً من نهر كري سعده قبل ان تقوم الخيزران بحفر نهر محدود.

وفي رأينا ان كري سعدة هو خندق وليس نهر وربما استغل ذلك الخندق لأعمال اروائية في مناطق محددة منه وكما

(١) الفرات الأوسط ٥٥.

(٢) م. ن.

(٣) وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ٢ /٢.

(٤) معجم البلدان ٣٩٢/٢.

(٥) معارف الرجال ٩٧/١ الهامش بتوقيع الناشر وهو حفيد محمد حرز الدين.

(٦) مشاهدات نيبور ٢٧.

(٧) تاريخ حضارة وادي الرافدين ٢ / ٢٣٢.

(٨) الفرات الأوسط ٤٣٥.

(٩) النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي.

(١٠) معجم البلدان ٥ / ٦١.

(١١) الذي يأخذ من الضفة اليسرى لنهر الفرات.

(١٢) تاريخ حضارة وادي الرافدين ٢ / ٢٣٢.

مر بنا مما قام به أبو جعفر المنصور ، والسبب الذي استند عليه ان الخندق يقع على الجانب الغربي من الفرات وهذا الجانب وعلى امتداد نهر الفرات تصب فيه العديد من الوديان مما يجعل وجود نهر يخترقها أمرا مستحيلا إذ ستذهب مياه النهر وتعود إلى الفرات ثانية وكذلك وجود العديد من المنخفضات والوديان على مسافة تقترب من ٧٠٠ كم، وهذا كاتب من أهل هيت يحدد لنا مسار كري سعده في بدايته إذ يذكر «لقد عرف الهيتيون اسم (كري سعده) باسم(چري سعْده)، وقد أصبحت بداية (الچري) اليوم أحد اكبر الشوارع في هيت ويعرف بشارع (الچري) وكان هذا الشارع في خمسينات القرن الماضي على شكل منخفض سبخ تاثر كثيرا بالملوحة التي كانت تنتشر في أرضه بسبب محاذاته لمملحة هيت الشهيرة والتي كانت إحدى اكبر الممالح في العراق بعد مملحة الفاو حتى عرفت المنطقة بـ(الصبخه) ويمتد (الچري) إلى منطقة (الدوارة) ويتقاطع مع (وادي الدوارة) دون أي أثر واضح له كمجرى نهر قديم ولكن حوض الچري كان واضحا بشكل جلي في منطقة (الشيخ أحمد) وعلى امتداد يقرب من كيلو متر واحد ينتهي في(وادي الحنينه) وهناك يختفي أثره. وقد أصبحت جميع هذه المساحات أحياء سكنية في بداية سبعينات القرن العشرين، ولم يبقّ من چري سعدى المعروف لدى الهيتيين سوى اسمه وأسطورة الحب التي تحكى عنه»[١].

وكذلك عند متابعتنا لبقايا هذا الخندق نراه يخترق الطف النجفي لينحدر إلى منخفض النجف حيث يبلغ ارتفاع المنخفض بحدود ١٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وجدت ان ارتفاع الطف في منطقة اختراق كري سعده بحدود ٣٠ مترا فوق مستوى سطح البحر وهذا يتطلب مزيدا من الحفر أو عمل قنوات في حالة استعمال الكري كمشروع إروائي.

وهو خندق وليس نهر لأن الموكلين بمسالح الخندق ، وقد كان سابور قد اقتطعهم أرضا فاعتملوها من غير أن يلزمهم خراجا واستعملوا في زراعتها عيون خندق سابور مثل عين الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل[٢].

وفي بداية عهد سابور كثرت الاضطرابات في مملكته وطمع العرب فيها وأخذوا يشنون الغارات على الأطراف ، فلما بلغ سابور السادسة عشرة بدأ المعارك مع العرب أولا[٣].

وهو بذلك بحاجة إلى حفر خندق عسكري لا إلى مشروع اروائي. «ومما يؤيد حذر الفرس من العرب ، ان كسرى لما بلغه ظهور الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام في الجزيرة العربية وتلقي الناس رسالته بالقبول ، وضع على الخندق المراصد والصوامع المعززة بالحرس»[٤].

وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه بانه خندق لأغراض عسكرية والى ذلك ذهب الدكتور حسن الحكيم «إنّ الخندق حفر لأغراض عسكرية وبنيت عليه المناظر والجواسق والمسالح[٥]»[٦].

واستغل وجود الخندق في المنطقة بين النجف وكربلاء لأعمال أروائية كما سيمر بنا في حينه ولذلك بقي هذا الجزء ظاهرا للعيان وكنت أشاهده عند الذهاب إلى السهلة بكتفيه العاليين وسكة الترامواي وهي تخترقه وقد أزيلت تلك الأكتاف لفتح الشوارع وانتشار الأحياء السكنية وحاجة المزارعين إلى أراضٍ زراعية في تسعينات القرن الماضي ولم يبق من الخندق سوىً بقايا صورته بالصورة المرفقة..

قناة أمين الدولة

واستغل الخندق (الكري) لإيصال الماء إلى النجف في المنطقة المحصورة بين ابي فشيكة مرورا بالخندق ثم إلى المنخفض «ثم أجروه على الأرض المنخفضة ، وهو الوادي المشهور عندنا ببحر النجف»[٧].

ثم يصف البحر وأبعاده ويضيف «فلما جرى فيه الماء عمل أهل النجف فيه البساتين والمزارع ، حتى رأيت رجلا وهو باق إلى اليوم ، وقد أنحنى ظهره من الكبر وتقوس وأرخى حاجباه على عينيه يقال له الحاج دهش[٨] الذي حج ما يزيد على خمسين حجة ، وسنه ما يقرب من مئة سنة. وكان صادق اللهجة حين قال: كنت فلاحا في بعض تلك البساتين ، وكان يصير عندنا البطيخ والرقي في غاية ما يكون من الحسن والكبر»[٩].

---

(١) الحوار المتمدن / قصر سعدى وخرافة النهر والزواج - قحطان محمد صالح الهيتي / العدد ٣٨١٥ في ١٠ / ٨ / ٢٠١٢.

(٢) فتوح البلدان ٢ / ٣٦٥.

(٣) تاريخ الدول الفارسية في العراق ٣٦.

(٤) نقلا عن مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ /٣٠٦-٣٠٧.

(٥) المناظر: المراقب - الصحاح ٢ / ٨٣٠ ، الجواسق: جمع جوسق: الحصن - تاج العروس ٣ / ٦٠ ، المسالح جمع مسلحة وتعني المرقب وأدنى مسالح فارس الى العرب العذيب - الصحاح ١ / ٣٧٥.

(٦) المفصل في تاريخ النجف ١ / ٢٦٨ نقلا عن فتوح البلدان ٢٩٦ ، مراصد الأطلاع ١ / ٤٨٤.

(٧) اليتيمة الغروية ٤١٤ ، نزهة الغري ٦٧.

(٨) من المشايخ الذين يمتهنون المكاراة على إبلهم ، والناقلين عليها الحجيج إلى الديار المقدسة وهو من آل فارس الجمالة وكانت داره قرب مدرسة المشهدي التي التقاه فيها البراقي في شارع الجمالة في محلة البراق - عشيرة آل فارس الجمالة ٦٩.

(٩) اليتيمة الغروية ٤١٤ ، نزهة الغري ٦٧.

ويبدو ان مشروع أمين الدولة اقتصر على ترميم ما قام به آصف الدولة الهندي ، في القناة التي توصل الماء إلى النجف وليس في مجرى نهر الهندية. بعث أمين الدولة خمسين ألف تومان لإصلاحها ، قام المهندس ميرزا تقي وبدأ العمل من جهة خان (أبو فشيگه) وأوصل الحفر إلى كري سعده (خندق سابور) وأطلق الماء في الكري. وقام المهندس ميرزا تقي ببناء القنطرة على الكري الموجودة إلى يومنا هذا بحدود عام ١٢٤٥ هـ(١٨٣٠ م) وقد تم ترميمها وتسيجيها ظنا من الناس إنها القنطرة التي عبرت عليها سبايا معركة الطف مع إنها بنيت بعد معركة الطف بحوالي ١٢٠٠ عام. «وقد أطلق الماء في الكري وجرى حينا ووقف، فساقوه من حيث وقف إلى النجف في قناة قديمة ، وقد قيل أنها من صنع أمين الدولة وأنه شارف العمل بنفسه ، إلا أنه لم يطل عمر هذه القناة حيث عادت فطمرت بعد وقت قليل»[١].

مشروع كري سعدة في عهد الملك فيصل الأول

وقد إطلع الملك فيصل الأول على هذه القناة وأراد إحياء هذا المشروع وقام بزيارة النجف فقد جاء في مجلة الأعتدال مقالا بقلم الحاج عبد المحسن شلاش وقد صحب الملك في جولته «واطلع على النهر بين النجف وأبو صخير وبواسطة الكهاريز (أقنية تحت الأرض بين الخورنق والنجف) التي تصب في بحيرة النجف وتتصل مجاريها بنهر السدير المتصل في كري سعد»[٢].

ففي سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) وفي زمن الملك فيصل الأول بذل الحاج محمد علي (رئيس تجار عربستان) ثلاثمائة ألف روبية على أن تصرف في حفر جدول من محل يعرف بالمزيديات متصل بجدول بني حسن وينتهي مصبه على بحيرة النجف غربي المدينة وتقرر رسميا ان ما يحدث على ضفتي النهر من زروع وبساتين يصرف ريعه -بعد أخذ العشر منه للحكومة- أولا فيما يلزم من تنظيف الجدول وحفظ مجراه وثانيا للصرف على المستشفيات والمدارس الأهلية في النجف وما يفضل منه يصرف في بلدة كربلاء في مثل هذا السبيل.

وأعطيت الرخصة بذلك من الدولة العراقية بتوقيع الملك فيصل الأول في اليوم الأول من رمضان ١٣٤٢ هـ(٦نيسان ١٩٢٤م).

وعند الشروع بالعمل حضر الملك فيصل الأول بنفسه وأخذ المسحاة بيده وحفر شيئا من الأرض تيمنا وتبركا ، وكان بجنبه الحاج محمد علي معين التجار آخذا بيده المسحاة أيضا[٣].

يقول الحاج عبد المحسن شلاش إن الملك فيصل عزم على تنفيذ هذا المشروع وقد قدرت الهيئات الفنية مصاريفه بما لا يزيد على الـ ٤٠٠ روپية بما فيها السدود والقناطر والشلالات و النواظم وغيرها وكان المخطط للمشروع الاستفادة من سدة الهندية لرفع مستوى الماء في كري سعده الذي هو في مستوى أعلى من نهر الفرات واتخاذ مجرى كري سعده القديم ثم إلى المنخفض وهو بديل عن نهر الحميدية.

ويذكر شلاش «ومن المصادفات الجميلة إنه بينما كان جلالته يفكر بتنفيذ هذا العمل إذ قابلني في النجف رئيس تجار عربستان (الحاج محمد علي) لأسباب خاصة يطلب فيها بعض المساعدات التي تمكنه من إرواء مدينة النجف بمشروع الأنابيب بقصد الخير المحض ، فلبيت طلبه وصحبته لمواجهة صاحب الجلالة للاستمداد بمعونته قبل كل شيء فحظينا بحضرته وبعد أن عرض عليه مشروعه الخيري في الأنابيب قال جلالته يخاطبنا معا: أيهما أعم نفعا مشروع الأنابيب للمدينة وحدها أو مشروع كري سعد الذي ترتوي منه المدينة وأراضيها»[٤].

ويقول شلاش انه أيد اقتراح الملك في مشروع سعد وتم إقناع رئيس التجار بتشجيع وتعهد الملك في إنجاز المشروع ويتحدث عن هذا المشروع بمرارة السيد محمد علي كمال الدين و يتساءل كيف تغير المشروع من جلب المضخة إلى شق جدول وهو بهذا محق فهذه النجف وتلك المشاريع الكثيرة التي مرت بنا وكيف كانت تجارب شق الجداول إلى النجف لا يصيبها النجاح فيذكر «اجتمع في الكوفة أربعون مهندسا ، وباشروا في العمل مدة طويلة ، صرفوا خلالها ثلاثين ألفا من الربيات[٥].

وحفروا من مصدر الجدول مسافة غير قصيرة ، وهنا يتغير الحال ، وينقلب الوضع مرة أخرى ، وتروج الإشاعات في أن الجدول فاشل لا محالة ، وأن كشوف المهندسين نقضت غزلها ، وأن الرصد المالي لا ينهض بالمشروع ، وإذا بالأوامر تصدر في إيقاف العمل ، وإذا بالأوامر تصدر بنقل المهندسين ، وإذا بالجدول خال تسفي فوقه الرمول»[٦].

---

(١) نزهة الغري ٦٧.

(٢) مجلة الاعتدال السنة الأولى العدد ٩ تشرين الأول ١٩٣٣ - عبد المحسن شلاش - فيصل والعتبات المقدسة.

(٣) ماضي النجف وحاضرها ٢٠٤/١ ، تاريخ النجف الأشرف ٣١٢/١.

(٤) عبد المحسن شلاش - فيصل والعتبات المقدسة - مجلة الاعتدال العدد ٩ السنة الأولى تشرين الأول ١٩٣٣.

(٥) الروبية: نقد هندي شاع استخدامه بالعراق وكانت الروبية تحمل صورة الملكة فكتوريا وتعادل ٧٥ فلسا - النقود في العراق ٤٥٦.

(٦) النجف في ربع قرن ١٢٤.

ويذكر السيد محسن الأمين سببا آخر من أسباب توقف المشروع وقد شاهد معين التجار في دمشق وذكر له السبب الذي توقف فيه ذلك المشروع «وأبلغني وهو في دمشق على نحو من أربعين صحيفة جاءته في دفعتين من أناس يلومونه ويقولون له: أنت بعملك هذا تعمل شرا لا خيرا وذلك لأنه بلغهم أن الدولة تريد أن تكلفهم بتكاليف الأمر والله أعلم»[1].

المصادر والمراجع:

أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١) تحقيق وتخريج حسن الأمين - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٨٣.

الأعلام - خير الدين الزركلي (ت: ١٤١٠) ط ٥ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٠.

إيران في عهد الساسانيين - أرثر كريستنسن.. ترجمة يحيى الخشاب مراجعة عبد الوهاب عزام - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت بلا.

تاج العروس في شرح جواهر القاموس - أحمد بن فارس بن زكريا الزبيدي (ت: ١٢٠٥) دار الفكر - بيروت ١٩٩٤.

تاريخ ابن خلدون - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٩٧١.

تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية - الدكتور أحمد نسيم سوسة (ت: ١٤٠٢) بغداد ١٩٨٣.

تاريخ الدول الفارسية في العراق - علي ظريف الأعظمي (ت: ١٣٧٧) مطبعة الفرات - بغداد ١٩٢٧.

تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت: ٣٦٠) طبعة لايبزك ألمانيا ١٨٤٤.

تاريخ الطبري / تاريخ الرسل والملوك - ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٢ دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٧.

تاريخ الكوفة - السيد حسين البراقي (ت: ١٣٣٢) تحقيق ماجد أحمد العطية ط ١ مطبعة شريعت - قم ايران ١٤٢٤.

تاريخ النجف الأشرف - الشيخ محمد حسين حرز الدين (ت: ١٣٦٥) هذبه وزاد عليه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ط ١مطبعة نگارش - قم إيران ١٤٢٧.

الصحاح / تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣) تحقيق أحمد عبد الغفار العطار ط ٤ دار العلم للملايين - بيروت لبنان ١٩٨٧.

(١) أعيان الشيعة ٣ / ٢٨٩.

عشيرة آل فارس الجمالي - كاظم محمد علي شكر (ت: ٢٠٠٥م) مؤسسة الضمان للإنتاج الفني - النجف ٢٠١٤.

على ضفاف دجلة والفرات - الليدي درور - تعريب فؤاد جميل ط ١ دار الوراق بيروت٢٠٠٨.

فتوح البلدان - أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (ت: ٢٧٩) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد مطبعة لجان البيان العربي - القاهرة مصر ١٩٥٦.

الفرات الأوسط / رحلة وصفية ودراسات تاريخية - الوا موسيل (ت: ١٩٤٤ م) ترجمة: د. صدقي حمدي - عبد المطلب عبد الرحمن داوود مراجعة: د. صالح أحمد العلي - د. علي محمد المياح مطبوعات المجمع العلمي العراقي ط ١ بغداد.

الكامل في التاريخ - عز الدين بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (٦٣٠) دار صادر - دار بيروت - بيروت لبنان ١٩٦٦.

ماضي النجف وحاضرها - الشيخ جعفر باقر محبوبة (ت: ١٣٧٧) الأجزاء ١، ٢، ٣. ط ٢ دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ٢٠٠٩.

مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - صفي الدين البغدادي (ت: ٧٣٩) تحقيق علي محمد البجاوي ط ١ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان ١٩٥٤.

مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥ - ترجمه عن الألمانية: سعاد هادي العمري ، مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٥.

معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء - الشيخ محمد حرز الدين (ت: ١٣٦٥) علق عليه حفيده محمد حسين حرز الدين النجف ١٩٦٤.

معجم البلدان - شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦) دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان ١٩٧٩.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي (ت: ١٩٨٧ م) - ساعدت جامعة بغداد على طبعه. ط ٢ بغداد ١٩٩٣.

المفصل في تاريخ النجف الأشرف - الدكتور حسن عيسى الحكيم (معاصر) ط ١ مطبعة شريعت - قم إيران ١٤٢٧هـ والسنوات اللاحقة..

من جنة عدن الى عبور نهر الأردن - وليم ويلكوكس (ت:١٩٣٢م) تعريب محمد الهاشمي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٥.

موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين - عباس العزاوي (ت: ١٩٧١ م) ط ١ - الدار العربية للموسوعات - بيروت ٢٠٠٤.

موسوعة العتبات المقدسة - جعفر الخليلي (ت: ١٩٨٥ م) ط ٢ مؤسسة الأعلمي - بيروت لبنان ١٩٨٧.

النجف في ربع قرن - محمد علي كمال الدين (ت: ١٩٦٦ م) تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري ط ١ دار القارىء للنشر والطبع والتوزيع - بيروت لبنان ٢٠٠٥.

النقود في العراق - د. ناهض عبد الرزاق القيسي (معاصر) مراجعة د. عيسى سلمان ط ١ بيت الحكمة بغداد ٢٠٠٢.
هيت في إطارها القديم والحديث - رشاد الخطيب الهيتي - بغداد ١٩٦٦.
وادي الفرات - الدكتور أحمد سوسة (ت: ١٤٠٢) ج / ٢ بغداد ١٩٤٥.
اليتيمة الغروية والتحفة النجفية - السيد حسين البراقي (ت: ١٣٣٢) ط ١ مطبعة شريعت - قم إيران ١٤٢٨.
- مجلة الاعتدال العدد ٩ السنة الأولى تشرين الأول ١٩٣٣.
موقع الحوار المتمدن على شبكة الأنترنيت

الصورة الأولى: قنطرة الكري قبل ترميمها

الصورة الثانية: ليوم افتتاح مشروع كري سعده من اليمين الحاج عبد الرزاق شمسه ، السيد مهدي السيد سلمان السيد محمد علي بحر العلوم ، الملك فيصل الأول ، معين التجار ، عبد المحسن شلاش ، والحاج علوان الحاج سعدون رئيس قبيلة بني حسن.